اللغة والهوية:
تحديات الهوية بين تغريب اللغة وتعريبها

منى الدسوقي*

المقدمة:

تُعدّ اللغة صورة لوجود الأمة، بل هي تاريخ الأمة الناطق بأفكارها ومعانيها، كما تعدّ العنصر الأهم من العناصر البنائية لثقافة هذه الأمة، والأداة الأعظم من أدوات التعبير عن نظرتها إلى العالم[1]، فهي بمثابة قومية الفكر تتّحد بها الأمة في صور التفكير والتعبير، فالدّقة في تركيب اللغة، دليل على دقة الملكات في أهلها، وعمق اللغة دليل على ميل الأمة إلى التفكير والبحث، فإذا كانت اللغة بهذه المنزلة، فلا شكّ أن أمتها ستحرص عليها وتنهض بها وتُكبر من شأنها؛ أمّا إذا استهانت بها وتركتها فريسة للإهمال والتراخي، وآثرت عليها لغة أخرى، فهي من دون شكّ، سائرة نحو الضعف والتبعية، وستكون أداة تخدم أفكار قوم غرباء عنها في الثقافة والانتماء[2].

فما هي الأسباب التي أدّت إلى تغريب اللغة؟ وما هي العوائق التي تتعرّض لها اللغة العربية أثناء القيام بدورها كلغة أم في المنطقة العربية؟ وبالتالي ما علاقة هذا الدور بهوية المجتمع، وما هي التحديات التي تواجهها هذه الهوية؟ في محاولة تقديم اقتراحات لمعالجة أهمّ القضايا المرتبطة بمستقبل هذه اللغة، والبحث عن تطبيقات عملية لإيقاف الهجمة على اللغة العربية، والهوية العربية.

ولمّا كنّا قد استهللنا بحثنا بتعريف مفهوم اللغة وأهميتها، ننتقل إلى إظهار مفهوم الهوية، والمفاهيم المرتبطة بها، بما يخدم البحث ويمهّد له.

1- مفهوم الهوية:

تعني الهوية ببساطة: من نحن؟ على المستوى الجماعي، ومن أنا؟ على المستوى الفردي، فالهوية كلمة مشتقة من الضمير "هو" للتعبير عن شخصية المرء واتجاهاته وطابعه القومي، وانتمائه الاجتماعي والثقافي والحضاري والسياسي في الجماعة التي يعيش فيها[3].

والهوية قضية مهمّة تشغل بال المفكرين والعلماء والمثقفين والقادة في جميع الدول من أجل منع الانقسامات، وتشتت الهويات والانتماءات بين أفراد المجتمع، وتقديم المجتمع المتماسك الواحد؛ وذلك من خلال جميع وسائل التنشئة الاجتماعية والسياسية، التي تغرس الهوية الواحدة المشتركة في نفوس أبناء المجتمع[4].

وأزمة الهوية ناتجة من واحد من أمرين: إمّا إحساس بانفصام الشعور بأن "نحن" ليست هي "نحن"، وإمّا تقيّد قسري بالآخرين من الخارج[5].

وينظر المفكر المصري محمد عمارة إلى الهوية على أنها حقيقة الشيء، أو

حقيقة الشخص المطلقة المشتملة على صفاته الجوهرية التي تميّزه عن غيره[6]. كما يرى عالم النفس إريك أركسون (Erik Smith Erikson / 1902 – 1994) أنّ هوية الإنسان تبدأ في التكوّن من خلال صورة العالم المحيط به، الصورة الوالدية للأم والأب التي تنشأ في الطفولة والمراهقة، والنماذج البشرية القدوة المؤثرة في البناء النفسي له من خلال مراحل نموه الأولى، ويكوّن الفرد إطاره الخاص به من خلال مراحل نمائية انتقالية متدرّجة تطورًا ونضجًا حتى يتخذ شكل هوية واضحة محددة لذاته[7].

وقد ميّز الباحثون بين عدة أنواع من الهوية، منها: الهوية الدينية، بمعنى التبعية الدينية، والهوية العرقية، والهوية اللغوية، كون اللغة من أهم أدوت التفاهم، إلى جانب الهوية المحلية التي تظهر في المناطق البعيدة والمعزولة عن مركز الدولة، بالإضافة إلى الهوية الكامنة التي تمثل إحدى الهويات الفرعية المحتملة في المجتمع والتي قد تتعارض أحيانًا مع الهوية العرقية والدينية[8].

2- المفاهيم المرتبطة بالهوية

ترتبط الهوية بعدة مفاهيم؛ تتداخل معها وترتبط بها بعلاقة وثيقة. من أبرز هذه المفاهيم: الانتماء، والولاء.

أ- مفهوم الانتماء:

لا بدّ أن ينتمي الفرد إلى جماعة معيّنة سواء أكانت هذه الجماعة صغيرة أم كبيرة. فالانتماء حاجة أساسية في أعماق الفرد، يتضمّن شعور الفرد بكونه جزءًا من مجموعة أكبر (أسرة، قبيلة، حزب، ملّة، أمّة، جنسية، قومية...) ينتمي إليها وكأنّه ممثل لها أو متّحد معها، أو متقمص لرؤاها وتوجهاتها. ويشير هذا الانتماء إلى النزعة التي تدفع الفرد إلى الدخول في إطار اجتماعي – فكري معيّن، وما يستتبع هذا الأمر من التزام بمعايير وقواعد هذا الإطار ونصرته، والدفاع عنه، في مقابل غيره من الأطر الاجتماعية والفكرية الأخرى.

فالهوية تتضمّن الانتماء، والحاجة إلى الهوية لا تنفصل عن حاجة الإنسان إلى الإنتماء، فالانتماء صفة أصليّة للهويّة، ومن خلاله تبرز الهوية الكامنة في النفس الفردية تجاه وطن أو قوميّة معيّنة[9]. كما قد حثّت مجمل الأحاديث النبوية الشريفة والآيات القرآنية الكريمة على الانتماء وتقويته، والتوكيد على الهوية الإسلامية للأفراد والمجتمع. وبيّن المثقفون أنّ أهمية الانتماء تكمن في بروز الهوية ووضوحها، وبالتالي احترام الآخرين لنا، والتعامل معنا على أساس قوّة التزامنا بهذه الهوية ووضوحها في تعاملنا مع الآخر، وربطوا بين الالتزام بالهوية وقوة الانتماء، وبين مدى الإيمان بالله وبالدين الإسلامي. فوجدوا إنّ إنماء اللغة العربية، هي إنماء لغة القرآن وتعزيزها، وبالتالي تعزيز الإسلام وتقويته. وقد أجمعت كلّ الدساتير العربية على تحديد هويتها العربية، مما يوضح تمسّك العرب بهويتهم المشتركة، التي توحدهم وتشكّل شخصية أمّتهم المتميّزة بالانتماء إلى اللغة العربية[10]

ب- مفهوم الولاء

يرتبط مفهوم الولاء بالانتماء، فالولاء علاقة بين دولة أو وطن، وفرد يعلن ولاءه

للنظام السياسي في هذا البلد. والولاء يحرّك الفرد، يستثيره ويجعل لحياته مغزىً أو اتجاهًا وهدفًا يوحّد من أجلها نشاطاته، وله وظائف اجتماعية، حيث أصبح من الممكن لمجتمعات متباينة أن تنشأ وتستمر في البقاء بسبب من الولاء[11].

3- علاقة الهوية بالقومية:

تعني الهوية القومية مجموعة من السمات العامة التي تهيمن نسبيًّا أو تميّز أمة ما في مرحلة تاريخية معيّنة، فالهوية القومية هوية نسبية وتاريخية يحققها شعب ما عن طريق تفاعله الجدلي مع التاريخ، إنّها نتيجة استجابات يعايشها الشعب عن طريق النشأة الاجتماعية، وليست ردًّا نظريًّا أو غريزيًّا[12].

ومن المثقفين من يربط الهوية القومية بالذات الثقافية، فيرى أنّ الهوية القومية الثقافية نشأت واستمرت طوال حقبة من القهر الوطني والثقافي في ظل الاستعمار التقليدي الذي سيطر على الشعوب القومية وراح يحاول بأشكال متعددة وبدرجات متفاوتة أن يطمس بعض المقومات الأساسية للثقافة القومية في مجمل أرجاء الوطن[13].

وهكذا فالقومية تكون صلة انتماء قوية بين الفرد، وشعب معيّن، يعيش في إقليم محدد ذي تاريخ مشترك ويتكلم لغة واحدة، ويتميّز عن غيره من الشعوب بالسمات والصبغات القومية التي لا تتعارض مع الهوية الوطنية أو الولاء المحلّي[14].

4- تحديد مفهوم الشخصية القومية

تُعد الشخصية القومية من أبرز المميزات الإنسانية، وهي مجموعة الصفات والخصائص الجسمية، والعقلية، والخلقية، والنفسية، والوجدانية، والمزاجية التي يتصف بها الإنسان على المستوى الفردي، كذلك على المستوى الاجتماعي، وتميّزه عن غيره من الناس، أو من الشعوب الأخرى[15].

ويقول المؤرخ الدكتور نقولا زيادة (1907 – 2006) في تحديد شخصية الأمة العربية: "نحن أمّة واحدة لأننا وحدة روحية، لنا بلاد نقطنها، وتاريخ نرجع إليه، ولغة حيّة نتكلمها، وأدب نستعذبه، وذكريات نتغنى بها، وآمال مشتركة نصبوا إلى تحقيقها، ومثل عليا متفقة نسعى إليها، وقوة نبذلها في سبيل آمالنا ومثلنا، وإرادة تحملنا على السير في سبيل الوصول إلى ما نؤمل"[16].

وقد اتّفق معظم الباحثين على أنّ مقومات الشخصية القومية تتمثل في أربعة عوامل رئيسة هي: اللغة المشتركة، التاريخ المشترك، الثقافة القومية المشتركة، الوطن المشترك.

وبما أنّ هذا البحث يدور في فلك اللغة والهوية، فسنلقي الضوء حول ماهية هذه اللغة المشتركة، ودورها في تحديات الهوية؟

5- اللغة القومية العربية:

تُعدّ اللغة القومية من أوثق الروابط القومية بين أفراد الشعب الواحد، حيث إنّ استعمال لغة قومية واحدة أدعى إلى التقارب والتفاهم والانسجام بين أبناء الأمة الواحدة وصهرهم جميعًا في بوتقة فكرية واجتماعية واحدة[17]. وللغة العربية دورٌ في الوحدة القومية والوحدة الإسلامية كلغة العرب والمسلمين؛ ودور الإسلام في الحفاظ عليها جليٌّ لا يُنكر، حيث أمدّها بثقافة عربية شاملة تتمثّل في التاريخ الإسلامي،

والفقه، وسائر علوم الدين. كما أنّ لها سندًا مهمًّا أبقى على روعتها وخلودها، وهو القرآن الكريم الذي كان له الأثر العميق في ثقافات الشعوب الأخرى التي اقتبست آلافًا من الكلمات العربية، وازدانت بها لغاتها الأصلية. ولولا الإسلام لأصبحت اللغة العربية لغة تاريخية كالقبطية واللاتينية والهيروغليفية[18].

ولا بدّ من التذكير أنّ اللغة ليست مجرد وسيلة لإيصال الأفكار بين المتكلمين بها فقط، ممكن أن يستبدلها الإنسان بلغة أخرى كما يبدّل وسائل مواصلاته أو ملابسه، بل هي وظيفة اجتماعية، وجزء من السلوك الإنساني، وليست أداةً تعكس الفكر فقط.

وفي ذلك يقول الفيلسوف الألماني "فيخته" (Johann Gottlieb Fichte /1762 – 1814) إنّ الذين يتكلمون لغة واحدة يكونون كلًا موحّدًا ربطته الطبيعة بروابط متينة وإنْ كانت غير مرئية. ومن هنا كانت لغة الأمة هي الهدف الرئيس لمحاربة المستعمرين الطامعين في استعباد الشعوب ومحاولة السيطرة عليها[19].

يقول الأديب المصري مصطفى صادق الرافعي (1880 – 1937) إنّ لغة الأمة هي الهدف الأول للاستعمار، ولن يستطيع المستعمر أن يحوّل الشعب عن أفكاره وعواطفه وآماله إلاّ من خلال لغته، فإذا انقطع من نسب لغته، انقطع من نسب ماضيه، وصارت قوميته صورة محفوظة في التاريخ، لا صورة محققة في وجوده، فتأثير اللغة على العاطفة والفكر لا يُنكر، حتى أنّ أبناء الأبّ الواحد لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثاني على أخرى، والثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء، "وما ذُلت لغة شعب إلاّ ذل، ولا انحطّت إلاّ كان أمره في ذهاب وإدبار"[20]. من هنا، فإنّ كلّ أمّة تنبذ لغتها القومية، أو تتهاون بشأنها، وتصطنع لغة غيرها تعتمدها في حياتها العامة أو الخاصة، إلاّ وتفقد شيئًا فشيئًا حياتها وكيانها حتى تذوب في نهاية المطاف في حياة الأمة التي اقتبست لغتها شعرت بذلك أم لم تشعر، لأنّ هذه سُنّة من سنن العمران وسنن الله في خلقه[21].

وهذا ما يفسّر لنا ظاهرة السياسة الاستعمارية تجاه البلدان المغلوبة، حيث يبادر المستعمرون منذ البداية إلى توجيه سهامهم المسمومة إلى لغة تلك الشعوب وثقافتهم كي يحقق الاستعمار أقصى غاياته المنشودة والمتمثّلة بالغزو الثقافي الذي يرسخ بالنفوس ويسيطر على العقول،[22] حتى ولو قُدّر للغزو الجغرافي والسياسي بالزوال، وهذا ما جعل فرنسا منذ بداية احتلالها للجزائر تطعن الشخصة القومية للشعب الجزائري، وتعمل على القضاء على اللغة العربية، والثقافة العربية الإسلامية، بقصد إماتتهما معًا، حتى تتكوّن الأجيال الجزائرية الناشئة تكوينًا مشوّهًا وممسوخًا، وبالتالي تنشأ تلك الأجيال بلا أصالة ولا عمق، لأنهم يجهلون لغة أمتهم، وتاريخ وطنهم، وثقافة شعبهم[23].

بعد مرور قرن على استعمار الفرنسيين للجزائر ظهر جيلٌ من المثقفين الجزائريين الذين آمنوا بأهمية التعليم القومي كواجب

يجب أن تنهض به المنظمات الوطنية، ووضع الخطط والبرامج التي تحدّ من الغزو الثقافي الفرنسي، حتى تتحطم سياسة الفرنسة من الأساس[24]؛ وهذا ما يفسّر لنا نهضة التعليم العربي الحر منذ الثلاثينات على الرغم من الحرب الضارية التي شنتها فرنسا على التعليم العربي وعلى القائمين به[25]، لكن المشكلة عادت وتجددت عندما غزت العولمة والأمركة العالم العربي من جديد، وسيطرت اللغة الإنكليزية التي هي لغة العلم والتكنولوجيا على سائر اللغات، ومنها اللغة العربية، حتى غزانا شعور غير معلن بالدونية، وأننا أقلّ قيمة وحضارة من الذين يتكلمون الإنكليزية.

وهكذا رجع الغزو الثقافي الإنكليزي وسيطر على عقول أبناء الأمة جمعاء. فبات من لا يعرف اللغة الإنكليزية جاهل، متأخر عن ركب موكب الحضارة. وباتت المدارس في عالمنا العربي تهتمّ بتدريس اللغة الإنكليزية أكثر من تدريس اللغة العربية؛ في عملية محاربة اللغة العربية، والقضاء عليها.

6- واقع اللغة العربية في هذه الأيام:

تعيش اللغة العربية واقعًا مرًّا بين مستهين بشأنها، وداعٍ إلى نبذها واستبدالها باللغة الأجنبية، بحجة أنّها عاجزة عن مواكبة العلم والتكنولوجيا، وأنها غير صالحة لاستيعاب ما يجد في حضارة هذا العصر، ومنادٍ إلى ضرورة استخدام العاميات لغة للإعلام والانتاج الأدبي، زاعمًا أنها الوسيلة الأنجح في مخاطبة الجماهير والوصول إلى عقولهم وقلوبهم.

لقد نجحت الرواسب الاستعمارية من بثّ جذورٍ تنفّر من اللغة العربية وتهون من شأنها، حتى هانت على أهلها وأصبحت عبئًا عليهم. ما أدّى إلى تراجع اللغة العربية في عقر دارها، وتراجع الإقبال عليها في مدارسنا وجامعاتنا، فأصبحت أقلّ المواد تحصيلًا من قِبل الطلاب مقارنة بالمواد الأخرى، فلا وقت كافٍ مخصص لشرحها والاهتمام بها، ولا كفاءة في مستوى القائمين على تدريسها؛ ولهذا نرى الطفل العربي قبل أن يعي لغته وهويته، نعلّمه لغة أجنبية ونشتت فكره ومصطلحاته؛ ولا يختلف الأمر عندما يصل الطالب إلى مرحلة التعليم الجامعي، التي لا تخلو بدورها من مظاهر الضعف في الإقبال على اللغة العربية.

ولا بدّ من الإشارة إلى إنّ محنة اللغة العربية اليوم لا تتمثل في حشود الألفاظ والمصطلحات الوافدة إليها من عالم الحضارة، بل إنّ محنتها في انهزام أبنائها، واستسلامهم أمام الزحف اللغوي الداهم في مجال العلوم والرياضيات والتكنولوجيا، واعتقادهم أنّ لغتهم ليس لديها القدرة على مسايرة ركب الحضارة الحديثة، واستيعاب مصطلحاتها، لذلك لا بدّ للطالب العربي أن يتلقى تعليمه بلسان أجنبي، مما أدى إلى تدهور اللغة العربية في عقر دارها[26].

7- حملات التغريب ضد اللغة العربية خلال التاريخ

واجهت اللغة العربية حملات شرسة بغية محاربتها وإحلال لغة أجنبية مكانها، بهدف فضّ عرى الوحدة العربية والإسلامية، وإضعاف الكيان الفكري والثقافي والحضاري

العربي،[27] وخير دليل على ذلك ما حدث في تركيا حين نجحت الأتاتوركية في تحويل الحروف العربية التي تُكتب بها التركية إلى حروف اللغة اللاتينية بحجة الدعوة إلى النهوض والتقدّم والتحضّر، لكن تبيّن فيما بعد أنّها دعوة لإبعاد اللغة العربية عن متناول الفرد التركي، وبالتالي سلخه عن لغة القرآن الكريم وعن دينه[28]، وبالتالي سلخه من الكيان العربي الإسلامي، وتقليص حجم هذا الكيان، لخطورة وحدته. فكانت هذه أول نكبة تصاب بها اللغة العربية في نهاية حكم الدولة العثمانية، تمثّلت بعزلها عزلًا تامًا عن تدريس العلوم الحديثة، وفرض اللغة التركية في المدارس بدلًا منها، وترسيخ فكرة عجز اللغة العربية عن استيعاب مواد أيّ علم حديث[29] بين جماهير الطلبة والمثقفين آنذاك، حتى إذا جاءت النهضة العربية في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وجد المتنورون العرب أنفسهم في مواجهة الحضارة الغربية، التي أخذت تظلّهم بظلالها وتفرض عليهم سماتها، ولم يجدوا أمامهم خيارًا سوى الأخذ بالكثير مما قدّمته لهم؛ مع محاولة التمسّك بما يستطيعون الاحتفاظ به من الإرث الحضاري القديم الذي يفخرون به، وكان عزاؤهم في ذلك أنّ الحضارة المعاصرة لها صفة عالمية[30] يمكن لأيّ أمة أن تغترف منها. وقد واجه المثقفون العرب التحدّي الذي قدّمته لهم حضارة الغرب بشكل مفاهيم جديدة[31]، وكان لحملات التغريب الحاقدة التي بدأت تظهر منذ أواخر القرن الثامن عشر أثرها الواضح وراء كلّ تفكك ودعوات لاستخدام العامية، عندما ظهر رجال يدعون إلى استخدام العامية عوضًا عن الفصحى بحجة أنّها أسهل على التداول بين الناس، وأنها عاجزة عن مواكبة العلم والتكنولوجيا[32].

وقد أشار المفكر المصري أنور الجندي (1917- 2002) إلى هذه الظاهرة[33] عندما ذكر عددًا من الكتّاب والمفكرين الأجانب منهم "مستر ولكوس" الذي ألقى خطابًا عام 1892 في نادي الأزبكية بالقاهرة، كان عنوانه "لِمَ لَمْ توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن؟" وأجاب عن هذا السؤال بأنّ السرّ في تأخرهم هو "اللغة العربية"، وأنّ المصريين لو اتخذوا لهم لغة "إقليمية" كما فعلت بريطانيا مثلًا لاستطاعوا أن يتفوّقوا ويخترعوا[34]. وفي الإطار نفسه تابعه القاضي ويلمور عام 1901 بحملة أخرى دعا فيها إلى ما أسماه "لغة القاهرة"، واقترح كتابتها بالحروف اللاتينية. وأشار الجندي أيضا إلى عدد من المستشرقين الذين كانوا يدعون إلى نبذ العربية، منهم المستشرق "ماسنيون" الذي دعا عام 1929 إلى الكتابة بالحروف اللاتينية، ثم تابعه المستشرق م. كولان الذي كان يدعو إلى العامية في بلاد المغرب العربي[35].

وقد ترك هؤلاء الأجانب ذيولًا من أبناء العرب ينهجون نهجهم في الحملة على اللغة العربية، والتقليل من قدرها، نذكر من هؤلاء في أواسط القرن العشرين، لطفي السيد، وسلامة موسى، وعبد العزيز فهمي في مصر، والخوري مارون غصن في سوريا، وأنيس فريحة في لبنان، حيث أخذوا يدعون

إلى استخدام العامية في التعبير نطقًا وكتابة، والاستعانة بالحروف اللاتينية[36].

وغيرها من الحملات والمخططات، التي كُشِف القناع عن وجهها في تركيا وإسبانيا وفلسطين والجزائر، تحت ما يُعرف بالعولمة في محاولة تجريد المجتمعات من لغاتها. وقد كان للمجتمع العربي نصيبه من هذا الأمر، حيث عملت هذه الحملات على احتواء الفكر العربي، وتمكّنت من السيطرة عليه بفكر وافد، وذلك عن طريق تجريده من تراثه وأصوله ودينه، وعزله عن قوميته وعروبته وانتمائه[37]، وجذبه للغات أجنبية، حتى يفقد الفرد القدرة على الفكر والإبداع التي تمدّه بها لغته، فينقاد بالتالي فكره وإبداعه للغة أخرى وحضارة أخرى، مما يجعله متنكرًا لحضارته وفكر أمّته، ومستهلك لمعارف أجنبية، وفكر أجنبي[38].

ولعلّ خضوع البلاد العربية والإسلامية للحكم الأجنبي عليها فترة من الزمن، سبب قوي في انصراف أبناء العربية عن استخدام لغتهم في الكليّات العلمية خاصة، وفي التعليم عامّة، وهذا ما يقرّه الأديب الكويتي عبد الرزاق البصير (1915- 1999) عندما يرى أنّ خضوع الأمّة العربية تحت ظلّ الحكم الأجنبي، أدّى إلى ضعف وعيها إلى درجة أصبحت لا تقدّر ما يعنيه ضعف لغتها من أثر على وجودها، فلمّا جاء الاستعمار الأوروبي زاد في تعميق هذا الداء في نفوس الكثيرين، لأنه يدرك أنّ أهمّ عناصر قوّة الأمة وعزتها تأتي من قوة لغتها. وتنشأ قوة اللغة عادة من خلال ترجمة العلوم إليها وتعليم أبنائها بها. لأنّ ذلك يخلق في الأمّة اعتزازًا بلغتها، فإذا لم يتأكّد في نفوس أبناء الأمة أنّ لغتهم قادرة على استيعاب ما يجد في الحياة، انهدمت أو ضعفت على الأقل ثقتهم بلغتهم، مما يجعلهم ينصرفون إلى غيرها من اللغات الأجنبية، وهو يؤكد أنّ أمة يصل حالها إلى هذه الدرجة يصبح شأنها ضعيفًا، مما يجعلها هدفًا للغزو الثقافي[39].

وإلى جانب هذه الأسباب عرض د. مصطفى شعبان في تعقيب له على بحث في اللغة العربية بعنوان "من قتل اللغة العربية؟" أشار فيها من جهة إلى الاستهتار باللغة العربية، واعتبار العلم بها عيبًا، والعالم بها متخلّفًا، لا يجوز الاهتمام به. كما أشار إلى إلحاح وسائل الإعلام اليومية على استخدام لغة عربية مشوّهة في ألفاظها وقواعدها؛ وأنه أصبح يسيطر على هذه الوسائل جيلٌ ممن يجهل اللغة العربية، يصدّر لغته التعِسة إلى المستمعين والمشاهدين. ومن جهة أخرى ينتقد الغيورين على هذه اللغة، الذين لم يقدّموا لرجال العلوم والتكنولوجيا بعد منتجات ومصطلحات علمية تشبع رغبتهم، وتغطي النقص الحاصل في دراساتهم[40].

بعد كل ذلك نرى أنّ فقدان العالم العربي لهويته قد يتطوّر إلى كارثة وشيكة، إنْ لم نستيقظ قبل فوات الأوان، لأنّ حملات التغريب هذه أضعفت اللغة العربية بدرجة كبيرة فأوهنتها، وتركت الهُويّة الثقافية العربية أمام تحدّيات خطرة، لا بدّ من تحديدها، ومحاولة الوقوف على أسبابها ومسبباتها بغية التعرّض لها، والحدّ من خطرها.

8- تحديات الهوية الثقافية العربية:

يمكن تعريف الهوية الثقافية والحضارية لأمّة من الأمم، بأنها "المعبر الأصيل عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمّة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده،... وهي كيان يصير، يتطوّر، وليست معطى جاهزًا ونهائيًا. وهي تغتني بتجارب أهلها ومعاناتهم، انتصاراتهم وتطلعاتهم، وأيضًا باحتكاكها سلبًا وإيجابًا مع الهويات الثقافية الأخرى التي تدخل معها في تغاير من نوع ما"[41].

ولقد تعرّضت الثقافة العربية، واللغة العربية لخطر كبير من جرّاء ظاهرة العولمة، التي تُعدّ من أخطر التحديات المعاصرة للهوية العربية، وهذه الخطورة لا تأتي من الهيمنة الثقافية التي تنطوي عليها العولمة فحسب، وإنما من الوسائل التي تستخدمها العولمة، والتي تتمثّل بالهيمنة الإعلامية التي تعمل على إثارة الشبهات حول الهوية العربية الإسلامية من خلال التشكيك في الثقافة العربية، ومحاولة طمس هوية مجتمعاتنا من خلال تجريد المواطن العربي من الثقافة العربية، وما لهذه الهيمنة الإعلامية من ترويج لنشر الثقافة الغربية، وجعلها النمط الثقافي السائد من أجل النيل من خصوصية الثقافة العربية الإسلامية، وتدمير هويتها وإذابتها في خضمّ القيم والسلوكيات والثقافات الأجنبية؛ فما هي هذه العولمة؟

العولمة:

تعريف: تعني العولمة في معناها اللغوي تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل العالم كلّه، وفي الاصطلاح هي انفتاح العالم على بعضه في التجارة والاقتصاد والسياسة والإعلام والثقافة... دون تقييد ولا حدود، ولا حواجز[42]. أما العولمة الثقافية فتشير إلى اختراق الهوية الثقافية للأفراد والأقوام والأمم، فهي ثقافة إشهارية، إعلامية، سمعية بصرية تصنع الذوق الاستهلاكي والرأي السياسي، وتشيّد رؤية خاصة للإنسان والمجتمع والتاريخ، إنها "ثقافة الاختراق" التي تقدمها العولمة بديلًا من الصراع الإيديولوجي[43]، في محاولة لوضع شعوب العالم في قوالب فكرية موّحدة، وذلك بسلخها عن ثقافتها وموروثها الحضاري، فهي نظام يريد رفع الحواجز والحدود، نظام يعمل على إفراغ الهوية الجماعية للأمّة من أيّ محتوى، ويدفع إلى التفتيت والتشتيت ليربط الناس بعالم اللاأمّة واللاوطن واللادولة[44].

وقد رأى البعض أنّ لفظ العولمة مرادف "للأمركة" وهو ما يعني سعي القطب الأوحد، أي الولايات المتحدة الأميركية إلى فرض سيطرتها على العالم أجمع في جميع المجالات. وقد تنبّهت الدول الأوروبية واليابان وكندا وأستراليا إلى مخاطر الغزو الثقافي الأميركي، وتصدّت له وأخذت تشجّع إنتاجها المحلي؛ فيما ظلت الدول النامية وتحديدًا دول العالم العربي عاجزة عن اتخاذ القرار الحاسم للحدّ من هذه الظاهرة[45]. وربما كانت الخلافات السياسية بين دول العالم العربي هي العائق في خروج مشروع حضاري حول الخصوصية الثقافية العربية، الذي كان من الممكن أن ينجح في اجتذاب النخب الثقافية، التي تعمل على مواجهة العولمة، وما ترمي إليه

من تهميش ما عداها من الهويات والثقافات.

ولهذه الأسباب بقيت الدول العربية، هي الدول الوحيدة على مستوى العالم التي تدرّس العلوم في جامعاتها بلغة أجنبية. أمّا الدول الأخرى كاليابان وروسيا، فقد تنبّهت لخطورة ذلك، وسعت للتخلّص من سطوة اللغة الأجنبية والعودة للغاتها الأم[46]، وأفضل مثال على ذلك ما قامت به فرنسا في الدفاع المستميت عن اللغة الفرنسية، بمجرد أن أحسّت بزحف اللغة الإنكليزية وإمكانية مزاحمتها للّغة الفرنسية[47].

9- الحروب المقنّعة ضد اللغة العربية:

تعددت الحملات والحروب المقنّعة ضدّ اللغة العربية، منها ظاهرة "الفرنكوآراب"، ومنها ظاهرة "العرابيزي"، وهي من البدع التي لاقت رواجًا وألفةً بين الشباب العربي، وتعني كتابة الحروف العربية باللغة الإنكليزية، وهي ظاهرة منتشرة بين الشباب في الدول العربية من خلال استخدام الانترنت، خصوصًا في المحادثات ورسائل البريد الإلكتروني[48]، خاصة بين الجاليات العربية الموجودة في البلاد الأجنبية، الذين ليس لديهم لوحة مفاتيح بحروف عربية، وهم إنْ وجدنا لهم العذر، فكيف نجد العذر لمن يمارسون هذه الكتابة بين أبناء العالم العربي، وبين طلاب الجامعات، حتى بين الذين يدرسون آداب اللغة العربية أنفسهم، حيث نجد الطالب منهم يستخدم "العرابيزي" وسيلة للتواصل مع الآخرين! فهل نستسهل هذه الظاهرة؟ أم ندق ناقوس الخطر من دون أن نستهين بهذه الظاهرة وأمثالها التي ليست إلاّ نوعًا من أنواع تغريب اللغة المتعددة!

وقد أشار البعض إلى أيادي الإدارة الأميركية في إعداد هذا المشروع الخطير، والذي يهدف إلى تغيير شكل الحروف العربية، واستبدالها بالحروف اللاتينية تحت شعار تحديث الثقافة العربية، واعتبار هذا المشروع جزءًا من خطة الإصلاح في المنطقة – والتي تدخل ضمن إطار مشروع "الشرق الأوسط الكبير" – بغية تحقيق تفاهم أفضل بين اللغة العربية وغيرها من اللغات الأخرى[49].

10- التصدّي لحملات تغريب اللغة في العالم:

أشارت المصادر إلى بعض التجارب التي قامت بها بعض الدول الأجنبية وشعوبها، في محاولة الاعتماد على لغاتها القومية للدلالة على إمكانية قيامها بهذه المهمّة المصيرية، وعلى ارتباط لغاتها بحركة التقدّم العلمي والحضاري، فأشارت إلى التجربة الفرنسية، والتجربة الألمانية، واليابانية، والصينية، والروسية، والفيتنامية، واليهودية[50] وغيرها من التجارب.

فقد أقدم الفرنسيون عام 1992 حين لاحظوا التنوّع اللغوي الطارئ على تركيبة مجتمعهم على تنقيح دستور بلادهم، فأصبح ينصّ على أنّ اللغة الفرنسية هي لغة البلاد شعبًا ودولة. وأمام زحف اللغة الإنكليزية أصدروا قانونًا لحماية اللغة الفرنسية، تمّ سنّة في 4 آب 1994، جاء في فصله الأول: "إنّ لغة الجمهورية طبقًا للدستور هي اللغة الفرنسية، وهي الركن

الجوهري في السيادة الفرنسية وفي تراثها، وهي لغة التعليم والعمل والمبادلات والمصالح العمومية، ثم هي الصلة الفضلى بين الدول المكوّنة للمجموعة الفرنكوفونية"[51].

وفي السياق نفسه تنبّه الألمان إلى تدحرج لغتهم على سلّم الأولويات، بحيث تأخرت رتبتها بين العشر لغات الأكثر شيوعًا، وقد برّروا مخاوفهم على أساس أنّ مستقبل اللغة الألمانية يبدو غير مستقرٍ في عصر تسيطر فيه الإنكليزية على التكنولوجيا العالمية، كما يتهمون الاتحاد الأوروبي بالتحيّز ضدّ لغتهم، لأنّ اللجان المنبثقة عن المفوّضية الأوروبية كثيرًا ما تكتفي باستخدام الإنكليزية والفرنسية[52].

كذلك الأمر أدرك المفكرون اليهود بعد قيام دولتهم أنه لا حضارة من دون لغة، ولكي يحيوا حضارتهم كان لا بدّ لهم من إحياء لغتهم أولًا. فعملوا على إحياء اللغة العبرية، بعد أن شبعت موتًا، وخلقوا لها كيانًا بعد أن كانت أثرًا من آثار التاريخ، فاعتمدوها اللغة الأولى في جامعات إسرائيل، حتى في الأقسام التخصصية الدقيقة مثل الطب، واستمر مشروعهم خمسين عامًا، أصبحت العبرية فيها لغة تدرّس من الروضة حتى الدكتوراه، فنجت اللغة، وتجسّدت الأمة[53].

وأكّدت الدراسات أنّ الدول التي كثُرَ فيها تسجيل عدد براءات الاختراع، هي الدول التي تدرّس العلوم فيها بلغتها[54]، لهذا فهناك علاقة إيجابية بين درجة الانتماء لدى المواطنين، وبين معدلات التنمية وتقدّم المجتمع، ولهذه الأسباب علينا أن نعمل على تحسين مستوى الانتماء عند أطفالنا الذين ينشأون على حبّ الثقافات الأجنبية، والنظر إليها على أنّها قمة الحضارة، الأمر الذي يجعلهم يكرهون اللغة العربية، والهوية العربية، ممّا يؤثر سلبًا على المستوى العلمي في البلاد العربية، ويؤدي إلى طمس هويتها وتشتيت انتماء أبنائها؛ فاللغة هي الركن الذي تعتمد عليه الأمّة في حياتها الفكرية، وهي المرآة التي ينعكس عليها ما تصل إليه الأمّة من رقي، وملاءمة العصر الذي تعيش فيه[55].

11- وضع اللغة العربية في المحافل الدولية وبعض الدول العربية:

دخلت اللغة العربية في الستينات من القرن الماضي المحافل الدولية من مثل (منظمة الوحدة الإفريقية، منظمة عدم الانحياز، منظمة العمل الدولية، منظمة اليونسكو وغيرها) وقد توصّل المترجمون إلى درجة عالية من الاتقان والتمكن، حيث أصبحت اللغة العربية متواجدة بصورة مناسبة في كل المحافل.

أمّا اليوم ونحن في بدايات القرن الواحد والعشرين، وأمام وجود جيل يتقن اللغة الإنكليزية ويفضّل التعامل بها مباشرة من دون الحاجة للترجمة واستخدام اللغة العربية، فقد بدأت هذه اللغة تتراجع في مثل هذه المحافل؛ لذلك كان لزامًا علينا أن نعي ما يحدث وأن نتصدى لتلك الظاهرة ونعيد للغة العربية تواجدها في المحافل الدولية، لتصمد أمام طوفان المعلومات والعولمة، أسوة باهتمام البلدان الأخرى بلغاتها في المحافل الدولية.

وقد أصدرت منظمة "اليونسكو" منذ سنوات قائمة بحوالي ثلاثمائة لغة انقرضت تمامًا في القرن العشرين، وأضافت إليها قائمة باللغات المتوقّع انقراضها في القرن الواحد والعشرين، وكان من بين اللغات في تلك القائمة اللغة العربية[56]. وهذا ما جعلها تخصّص يومًا عالميًّا لّلغة العربية منذ العام 2012، إعلانًا منها أنّ هذه اللغة مأزومة، على غرار الأيام التي خصّصتها للمواقع الأثرية في (18 نيسان)، والمتاحف في (18 أيّار)، والمهاجرين في (18 كانون الأول)[57].

ولا نستبعد انقراض اللغة العربية أو التخلي عن استخدامها والاكتفاء بها كلغة للدين والتعبّد فقط إذا ما نظرنا إلى تراجعها مثلًا في منطقة الخليج العربي على نحو محزن سواء على مستوى الحياة العامة، أو في المؤسسات التعليمية، حيث أظهرت إحدى الدراسات إنّ ترتيب اللغات بدولة الإمارات العربية في مجال المعاملات اليومية، يضع الإنكليزية في المقام الأول، والأوردية[58] في المقام الثاني، وتأتي اللغة العربية في المرتبة الثالثة، وهذا التراجع يظهر أيضًا بعدما اشترطت وزارة التربية والتعليم فيها أن تقدّم الأوراق في أيّ مؤتمر باللغة الإنكليزية. وبعد أن احتلّت العربية عالميًا المرتبة الرابعة بعد الإنكليزية والصينية والإسبانية بعدد مستخدميها على الأنترنت (إحصاء 30 حزيران 2016)[59].

ومن الأمثلة الأخرى على الاستهانة باللغة العربية ما حصل بالمغرب حين صدرت وثيقة تطوير التعليم فيها باللغة الفرنسية أولًا، ثم ترجمت للعربية فيما بعد[60]. أمّا في الجزائر فبالرغم من ظهور الوعي عند فئة من المثقفين في الجزائر حول ضرورة الاهتمام باللغة القومية العربية، إلاّ إنّ الجزائر تعدّ ساحة نموذجية حول الصراع بين المدافعين عن اللغة العربية، والمدافعين عن اللغة الفرنسية، أو بين حزب الجزائر وحزب فرنسا، حيث يدافع الأول عن التعريب ويعدّه من ثوابت الدولة وركائز الانتماء، وهو مع الاستقلال عن النموذج الحضاري الغربي؛ ويدافع الثاني عن اللغة الفرنسية، ويحتقر العربية علنًا في كتابات تنشرها الصحف الناطقة بالفرنسية[61].

12- الصحوة اللغوية في العالم العربي

لمّا كانت حياة اللغات رهينة بحمايتها، ولمّا كان مجرد تصنيف لغة معيّنة ضمن اللغات الحيّة لا يؤكد استمرار التكلّم بها، ما لم تتخذ إجراءات عاجلة لإنعاشها، شعر القيّمون على اللغة العربية بحاجة ملّحة إلى قفزات تدبيرية ونوعية شاملة لحلّ قضاياها؛ ولا يتأتّى لها ذلك من غير خلق مؤسسة علمية ذات سلطة مرجعيّة وتنفيذية، ساهرة على شؤون اللغة العربية، ومسؤولة عن أمنها وتخطيطها[62]؛ وخير مثال على ذلك ما شهدته الجزائر المستقلّة، التي بالرغم من فشل كل المواثيق والدساتير التي عرفتها لفرض لغتها، استطاعت في 16 كانون الثاني عام 1991 من إصدار قانون يوجب تعميم استعمال اللغة العربية[63]؛ غير أنّ هذا القانون لم يصدّق عليه إلاّ في 17 كانون الأول عام 1996، ولم يدخل حيّز التنفيذ إلاّ في 11 تموز 1998[64]. وهذه تونس

أيضًا التي عانت، كما عانت الجزائر من فرض اللغة الفرنسية، على مدى خمسة وخمسين عامًا، عادت عام 1987، ونصّت في بيانها التأسيسي على ضرورة إعادة تونس إلى مناخها الطبيعي العربي الإسلامي، وصاغت الميثاق الوطني الذي يعترف بعروبة تونس وإسلامها، والذي لم يُعمل به حتى عام 1994[65].

وكما ظهرت في مختلف بلدان العالم العربي جمعيات تدافع عن اللغة العربية، كالجمعية الجزائرية للدفاع عن اللغة العربية (1988)، والجمعية المغربية (2007)، وجمعية الدفاع عن اللغة العربية في لبنان، وجمعية حماية اللغة العربية في الإمارات، التي انبعثت في 28 أيلول 1999[66].

وهكذا نرى أنّ العديد من مناطق العالم العربي، التي خضعت لهيمنة اللغة الأجنبية عليها، ما لبثت أن استشعرت بخطر هذا الغزو اللغوي والثقافي، فقام المستنيرون من أبنائها في الدفاع عن لغتهم الأم، وظهرت الصحوة إلى الرجوع لّلغة العربية، وظهرت محاولات تُنهي عن تدريس اللغة الأجنبية للأطفال في سنٍ مبكرة، لما له من آثار سلبية.

13- تدريس اللغة الأجنبية في سنٍ مبكرة وآثاره السلبية:

لمّا كان تدريس اللغة القومية وتمكينها في نفوس الناشئة سبيلًا للحفاظ على تراث وثقافة هذه اللغة؛ ولمّا كان لا يمكن للإنسان أن يحب وطنه حبًّا حقيقيًا إلاّ إذا عرفه معرفة جيدة في ثقافته الخاصة، وفي لغته القومية[67]، لذلك فإننا نرى الناشئ في أية دولة أجنبية يدرس لغته الأم في بداية مراحل التعليم دراسة وافية حتى يتمكّن من إجادتها والتعبير بها عن فكره وتصوّراته، فلا يستخدم سواها في كلامه إلاّ مضطرًا، على الرغم من إلمامه بلغات أخرى وثقافات مختلفة. وهذا عكس ما نراه سائدًا في البلاد العربية حيث يُوجّه التلامذة منذ الصغر إلى الاهتمام باللغة الأجنبية على حساب اللغة العربية الأم، فتُدرّس هذه اللغة كمادة ثانوية وبطريقة منفّرة، فنجدها أقلّ المواد تحصيلًا من قِبل الطلبة بعكس المواد الأجنبية، بالإضافة إلى الوقت الضئيل المخصص لها، والذي لا يكفي لشرحها والاهتمام بها.

ونحن من دعاة تعلّم الطلاب لغة أجنبية، إلى جانب اللغة القومية، كي تسهل عملية التواصل الحضاري مع الحضارات الأخرى، لكن ليس على حساب اللغة القومية العربية؛ فتعليم اللغة الأجنبية ضرورة إلاّ إنّه سلاح ذو حدّين، إذ إنّ اللغة الأجنبية يمكنها أن تكون أداة تواصل مع الآخرين، ويمكنها أن تكون أداةً لطمث الهوية والغزو الثقافي. وقد رأى الدارسون أنّ تعليم اللغة الأجنبية يجب أن لا يبدأ بسن مبكرة، حتى يكون الطالب قد وعى هويته وأتقن لغته الأم، واستوعب تاريخه وعلوم تراثه، وتكوّنت شخصيته وهويته العربية، حيث إنّ تعليم اللغة الأجنبية في سنّ مبكرة يؤدي إلى انتماء الطفل إلى هذه اللغة، وانجذابه إليها وكأنّها لغته الأم[68].

وممّا يزيد الطين بلّة عندما تشجّع الأسرة الطفل عند نطق الكلمات الأجنبية، ممّا يولّد لديه أهمية هذه اللغة فيفضّلهاعلى

لغته القومية، ويضيع منه الانتماء، والولاء، والهوية، فهناك ثمة فارق بين التمكّن من اللغة الأجنبية من أجل التواصل الحضاري، وبين طرح اللغة الأجنبية بديلًا من اللغة الأم، الذي يعدّ تفريطًا في الهوية والمستقبل كلّه.

وأثبتت الأبحاث أنّ العباقرة والمبدعين هم من أجادوا لغتهم الأم؛ وقلّما نجد مبدعًا أو عالمًا تخلّى عن لغته الأم، خاصة في المراحل الأولى من نشأته. أمّا في المراحل المتقدّمة من التعليم، فإنّ استخدام اللغات الأجنبية في الشرح، ما هو إلاّ مضيعة للجهد والوقت، حيث يصرُفُ المتلقي جهده في الفهم والاستيعاب والحفظ، ممّا لا يترك له إلاّ جهدًا بسيطًا للإبداع والابتكار والفكر، ممّا يؤدي إلى تدهور التعليم.

14- خطورة نشر التعليم باللغة الأجنبية وحدها:

تكمن خطورة التعليم باللغة الأجنبية في أنه يمثّل القاعدة الأساسية للمنظومة الثقافية، ويفتح الباب أمام إدراج مكوّنات غربية، لا تمحو فقط الهوّية الوطنية، بل تسعى إلى غرس معتقدات تخدم أغراض الشركاء الأجانب، حتى ولو لم تكن مما يدخل في المنظومات الثقافية للدول التي ينتمون إليها[69].

يشرح المربي الإنكليزي "نيقولا هانزا" في كتابه "التربية المقارنة"[70] خطورة التعليم باللغة الأجنبية على كيان الأطفال وشخصياتهم الذين يكونون قد ملكوا قبل دخول المدرسة ناصية الحديث بلغتهم الأصلية، ثم عليهم في المدرسة أن يضيفوا إلى هذا الأساس اللغوي، الأفكار والعلاقات المجرّدة التي يعبّرون عنها جميعها بلغة أجنبية، فتصبح عقولهم مبلبلة ومنقسمة إلى قسمين منفصلين تمام الانفصال: أحدهما للأشياء العادية والأعمال التي يعبّرون عنها بلغتهم الأصلية أو لغة الأم؛ والثاني للأشياء التي ترتبط بالمواد الدراسية في المدرسة، وبعالم الأفكار المعبّر عنها بلغة أجنبية؛ فتصبح شخصياتهم مضطربة قلقة، ويصبحون ضحية الازدواج اللغوي الذي سيطرت فيه اللغة الأجنبية على اللغة القومية؛ ممّا يدلّ على خطورة اللغة في حياة الشعوب، لأنها العامل الأساسي في قيام وحدتها على أسس صلبة قوية[71]. وهذا ما جعل الشعوب والدول المتحضّرة من الإنكليز والفرنسيين والألمان يقبلون على لغاتهم القوميّة، يعتمدونها في جميع مراحل التعليم. وهذه إيران أيضًا سعت إلى اتخاذ الفارسية وسيلة للتدريس في الطب، والصيدلة، والهندسة، والزراعة، وغيرها من الفروع العلميّة؛ وهذه الهند كذلك سعت بعد استقلالها إلى استخدام اللغات الهندية وحدها، أو بالاشتراك مع الإنكليزية في التعليم العالي للعلوم البحتة والتطبيقية؛ بالإضافة إلى ما فعله الكيان الصهيوني الذي اعتمد اللغة العبرية في تدريس العلوم، وقد نجحوا في ذلك نجاحًا كبيرًا في بضع سنين[72]. فإذا ما بحثنا عن الوسيلة التي تقينا الإنجرار وراء لغة الآخرين وثقافتهم، نجد أن لا شيء يقينا ذلك ويحفظ لنا لغتنا إلاّ الثقافة التي يجب أن نلجأ إليها كواقٍ في مواجهة هذه المخاطر.

15- وظيفة الثقافة في مواجهة هذه المخاطر:

للثقافة وظيفة مهمة في مواجهة المخاطر التي تتعرض لها اللغة العربية، حيث تُعدّ وسيلة المجتمع الرئيسة في الإبقاء على حياته وكيانه؛ فكلّ المجتمعات وفي سائر مراحل التاريخ تحاول المحافظة على كيانها من خلال المحافظة على ثقافتها القومية، حتى لو اضطرتها الظروف لأن تضحي بعدد من أفرادها من أجل المحافظة على هذه الثقافة، وذلك لأن الأفراد زائلون دائمًا، أمّا الثقافة فهي إنْ ضاعت فسيترتب عليها ضياع الجماعة نفسها[73]. فكيف نحصل على هذه الثقافة؟ وما هي العلاقة بين الثقافة والتربية والتعليم؟

أ- العلاقة بين الثقافة والتربية والتعليم:

من المعروف إنّ هناك ارتباطًا وثيقًا بين الثقافة - التي تعمل التربية على نقلها من الأجيال الماضية إلى الأجيال الحاضرة من جهة - وبين الشخصية الوطنية من جهة أخرى[74]. والحديث عن الشخصية الوطنية يجرّنا إلى الحديث عن الثقافة القومية التي تتمثّل كما نعلم في اللغة القومية، والفنون، والعلوم، والآداب، والنظم، والعادات والتقاليد[75].

ولمّا كان الهدف الأساسي للتربية هو تنمية الإنسان بوصفه عضوًا في جماعة؛ فالتعليم يرتبط أساسًا بكيان المجتمع ثقافيًا وسياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا. ويؤثر في هذا الكيان ويتأثّر به وبما يدور فيه[76]. والتأثير السياسي للتعليم في المجتمع مهم للغاية بحيث يعمل على تحقيق التغيير السياسي وتعزيز التماسك به، والوصول إلى بناء الأمة والعمل على تجانسها سياسيًا[77].

ب- دور المدرسة في الحفاظ على الثقافة القومية:

لا يمكن الحفاظ على الثقافة القومية، أو التراث القومي، إلاّ من خلال وسيلتين: الأولى هي العلم بها، والثانية هي تعليمها للأجيال الناشئة من أبناء الأمة؛ وكلتا الوظيفتين أو الوسيلتين تدخل في نطاق التربية. ومن هنا كانت أهمية المدرسة في المجتمع، فهي التي تعدّ الأطفال ليكونوا أفرادًا صالحين في مجتمعهم عن طريق تزويدهم بالثقافة القومية، لذلك كانت الوظيفة الأساسية للمدرسة هي الحفاظ على التراث القومي للمجتمع؛ فالمدرسة هي التي تعلّم لغة الأمّة وتاريخها، وعلومها، وفنونها، وعاداتها، وتقاليدها؛ وهي التي تغرس في نفوس الأطفال حبّ هذا التراث الثقافي، والتمسّك والاعتزاز به[78].

لذلك يتحتم على المدارس أن تعلّم أبناءها هذا التراث بلغة أمتهم العربية، حيث يساهم ذلك في بثّ الروح القومية في نفوسهم وترسيخها في كيانهم، ممّا يؤدي إلى بناء شخصيتهم الوطنية والقومية[79].

ويدعم التعليم أيضًا الهوية الاجتماعية في نفوس هؤلاء الأطفال، ويحرّك فيهم الشعور بالانتماء إلى الجماعة المتمثّلة بمعلميهم وزملائهم في المدرسة؛ فيبدأ الشعور الاجتماعي العام بالتكوّن، وتظهر الهوية الاجتماعية في نفوسهم وتنمو مع مرور الزمن[80].

وبهذا يقوم التعليم بدور حيوي في نشر الثقافة القومية، ويعمل على دمج الثقافات الفرعية الأخرى في الثقافة القومية، الأمر الذي يتطلّب تعليم اللغة القومية أولًا بوصفها أبرز متطلّبات الثقافة القوميّة، وأداة التعليم ووسيلته في كلّ الأنظمة المعرفية التي يتعرّض لها الطلاب[81].

وهكذا يسهم تعليم اللغة القومية في نمو الفرد الثقافي، حيث ينمو لديه الولاء للغة وثقافتها. كما ينمّي عنده الشعور بالانتماء؛ الانتماء إلى جماعة تقبله ويقبلها، يشترك معها بنفس اللغة، والمنطقة الجغرافية والتاريخ المشترك[82].

ولا مناص من الإشارة إلى الدور الذي تؤديه المدرسة والمعلّم في تحقيق التغيير الاجتماعي والسياسي، وتوكيد القيم والسلوك السياسي، وتثبيتها في نفس الطلاب. إذ يؤدي احتكاك المعلّم بالطلاب إلى تحقيق الوحدة الفكرية، والتفكير السياسي المتجانس لهم، وذلك بتقديم القيم والاتجاهات السياسية، التي يريدها النظام السياسي، ممّا يؤدي إلى تماسك البناء الاجتماعي، والتماسك القومي، ويجعل الطالب يتعرّف إلى مجموعة من القيم والمعارف السياسية التي تسهم في تشكيل وعيه السياسي[83].

16- العقبات التي تعاني منها اللغة العربية

تعاني اللغة العربية عقباتٍ كثيرةً تقف دون تطورها وتقدّمها[84]، منها:

1. المناهج البالية والمنفّرة التي تُعتمد في تدريس اللغة العربية، والعمل على ضرورة تطويرها، بحيث تصبح مزوّدة بعناصر الجذب والتشويق، وتخليصها ممّا تعانيه من عيوب في أهدافها ومحتواها وأنشطتها وطرق تدريسها، وأساليب تقويمها، لتصبح مؤهّلة للأخذ بيد المتعلّم لمواجهة تحديات العولمة.

2. معاناة اللغة العربية من ندرة الكفاءات القادرة على تحرير اللغة، وجعلها تواكب متطلبات العولمة والتكنولوجيا، ووجوب علاج هذا النقص دون أيّ تأخير أو إهمال، لأنّ أيّ تأخير يقودنا إلى التخلّف الحضاري.

3. معاناة اللغة من مشكلة الازدواج بين الفصحى والعامية[85]، التي بلغت نسبتها 75% من طلبة الجامعات في مواقع التواصل الحضاري[86] حيث يتعلّم الفرد الفصحى في المدرسة، ويتحدّث العاميّة في المنزل والسوق والشارع، إلى جانب الازدواج بين اللغة العربية الفصحى، ومنافستها باللغة الأجنبية، ما يؤدي إلى زعزعة ثقة الفرد بلغته، وخاصة عندما يعلم أنّ ارتباط فرص العمل الجيدة، يكون بإجادة تعلّم اللغات الأجنبية على حساب اللغة الأم.

4. قصور الإعلام عن القيام بدوره، كاستخدام المذيعين ومقدمي البرامج الذين يفتقدون معرفة قواعد اللغة العربية الصحيحة، حتى كأنك تشعر أن بعض القائمين على هذه الأجهزة على عداوة راسخة مع العربية، فلا يعطونها الوقت الكافي، ولا يمنحونها من البرامج إلاّ القليل، ولا يبرزونها للجمهور إلاّ بطريقة منفّرة[87]. بالإضافة إلى لوثة استعارة عناوين وأسماء إنكليزية الأصل تُكتب بالأحرف اللاتينية، أو العربية، إلى جانب إعلانات باللغة الإنكليزية في الصحف العربية. وأخطاء

نحوية مفجعة في عناوين الصحف الكبرى، إلى عامية مبتذلة تُكتب بها مقالات كاملة[88]. وتتجلى الكارثة عندما نستمع إلى أحد الضيوف في بعض المحطات الإعلامية من خلال برامج حوارية محلّية، وهو يتلفّظ بكلمة عربية وأخرى أجنبية، في محاولة منه لإظهار ثقافته المتنوّعة وإلمامه بلغات أخرى، مما يساهم في ترسيخ هذا التفلّت اللغوي في أذهان الناس، ويمهّد لنشر لغة غريبة عن ثقافتنا وتراثنا! وهذا ما تفعله الإعلانات التي تستخدم فيها لغة عربية ركيكة في قواعدها وألفاظها، فهي تشكّل خطرًا على الناشئة لأنها تورثهم لغة رثّة.

لهذا فإنّ توظيف الإعلام المشوّه يشكّل خطرًا على الهوية العربية، فينشر لغات أجنبية، ويوطّن قيمًا هابطة بحجة التحضّر. وكلّ ذلك يخدم العولمة والغزو الثقافي، ويبشّر باستعمار جديد هو الاستعمار المعلوماتي.

ونتساءل أمام كلّ هذه العقبات **ما هي الحلول المطلوبة للرقي باللغة العربية؟**[89]

إنّ ارتباط اللغة القوي بالهوية يدفعنا إلى المزيد من الاهتمام بها، والعمل على علاج مشكلاتها، والتصدّي للأزمات العديدة التي تمر بها، بغية إعلاء شأنها والنهوض بها. ولا يمكن أن يتحقق لها ذلك إلاّ من خلال سياسة لغوية تتخذها الدول العربية، وتشدّ بها أزر اللغة العربية، فتضع لها ضوابط وقيودًا تمنع التفلّت اللغوي الحاصل وتحدّ منه[90] حتى إذا ما جاء دور العلماء والمفكرين والأدباء في تنمية لغتهم وتقويتها، كانت السياسة اللغوية سندًا لهم في دعواتهم هذه، بحيث تصبح مقوننة، لا تعتمد على أهواء الناس ورغباتهم، مما يجعلهم قادرين على الثبات بوجه كل ما تتعرّض له لغتهم من أخطار، ويجعل ارتباطهم بلغتهم أشدّ مما كان عليه من قبل[91]؛ ولهذا وأمام سيل المخترعات والمكتشفات، كان لا بدّ من تنمية اللغة وتقويتها، فاقتضى الحال إلى **إنشاء مجامع اللغة العربية،** التي تضمّ صفوة من العلماء الذين تخصّصوا في مختلف ميادين العلوم النظرية والتطبيقية، فعُرّبت مصطلحات في مختلف العلوم النظرية والتطبيقية، ممّا مكّن لهذه اللغة أن تواكب هذه التغيّرات الكثيرة المختلفة[92]. دون أن يُخفى ما لهذه الخطوة من تزليل للعقبات أمام الدعوة إلى إلزامية التعليم الجامعي باللغة القومية[93]. وكما ظهرت عدّة حلول تعمل على تعزيز اللغة العربية منها:

- تبسيط اللغة العربية لدارسيها، وتيسير طرق تدريس النحو باستخدام الإمكانيات الحديثة.
- نشر اللغة العربية الصحيحة في وسائل الإعلام والصحف، حتى تكون قدوة حسنة على الناس والناشئة، وتكون قريبة من آذانهم ومفاهيمهم.
- التركيز على استخدام اللغة العربية الفصحى في برامج الأطفال، والكتب الخاصّة بهم بطريقة مشوّقة يألفها الطفل قبل دخول المدرسة.
- منع المدرّسين من استخدام العاميّة بالمدارس، وتشجيع الطلبة على استخدام الفصحى، ويكشف هذا دور مدرّس اللغة العربية وإحساسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه، وأن لا يقف استخدام اللغة الفصحى

على أساتذة اللغة العربية فقط، بل يتعدّاه إلى مدرّسي كلّ المواد الأخرى.

- العودة إلى تحفيظ القرآن الكريم، والأشعار البليغة، والنثر ذي القيم والمبادئ والأخلاق الفاضلة.

- أمّا دور الجامعات وهيئات البحوث في تأهيل العربية، فله الأهمية الأساسية، حيث تعقد الآمال عليها لتخليص الأمّة العربية، واللغة العربية من محنتها[94]؛ وتعمل جادة في هذا السبيل، وعلى كافة الصعد الممكنة التي منها ما يلي:

– ضرورة الاهتمام بالمحتوى العربي على شبكة المعلومات الدولية لتعزيز الهويّة العربية.

– ضرورة محاولة غزو المحتويات الأجنبية بابتكار مصطلحات عربية سهلة، بالاعتماد على مجامع اللغة العربية، تجذب المتصفّح العربي وتغنيه عن العودة إلى المصطلحات الأجنبية.

– ضرورة استلهام تجاربنا ومقارنتها بتجارب الأمم الأخرى، التي تسعى للحفاظ على هويتها كما فعلت فرنسا مثلًا، وتطبيقها في عالمنا العربي للمحافظة على هويتنا.

الخاتمة:

في الختام إنّ اللغة العربية كانت وما تزال حافظة التراث العربي الإسلامي، ومحتضنة الشعور العربي في سائر أقطار الأمّة، ونظرًا لأهميتها في حياة الشعوب العربية، لا بدّ من الحفاظ عليها، وتخصيصها بسياسات لغوية تعمل على تثبيت وجودها أمام تيار اللغة الإنكليزية الجارف من جهة، الذي تدعمه العولمة مما يهدّد القومية والانتماء للأمة العربية، والتصدّي من جهة أخرى لظاهرة الضعف المستشري بين الطلبة، المتمثل بتفشي العامية واللهجات المحلية على ألسنتهم، إلى جانب ظاهرة "العرابيزي" الدارجة بينهم؛ وبيان السبل لمعالجة هذه التحديات، من خلال الأسرة، والمدرسة، والإعلام؛ وما كلّ ذلك إلاّ دفاعًا عن أمتنا وهويتنا، لأنّ اللغة هي مرآة الهوية؛ وإذا ما أردنا أن نعرف مستوى أيّ أمّة، فينبغي أن ننظر في مفردات لغتها، لأنّنا سنجد في معاني تلك المفردات صورة متكاملة للمستوى الحضاري لتلك الأمة[95].

لذلك على الغيورين على اللغة العربية، أن يضافروا الجهود الصادقة لمواجهة هذه التحديات التي تواجه اللغة العربية والهوية العربية. ولن يكون للعرب اليوم إلاّ الانخراط في قاعدة ثقافية عتيدة، إذ لا ثقافة من دون هُوية حضارية، ولا هُوية من دون إنتاج فكري، ولا فكر من دون مؤسسات علمية متينة، ولا علم من دون حرية معرفية، ولا معرفة ولا تواصل ولا تأثير، من دون لغة قومية تضرب جذورها في التاريخ، وتشارف بشموخ حاجة العصر، وضرورات المستقبل[96]. وقد قيل: "الهُوية قلعةٌ حصنها الثقافة وسياجها اللغة"[97].

***

الهوامش:

• **أستاذة في كلية الآداب والعلوم الإنسانية – الجامعة اللبنانية**

1 محمد العبد، "اللغة والهوية القومية"، **الهوية القومية في الأدب العربي الحديث**، ص. 50

2 انظر مصطفى صادق الرافعي، **وحي القلم**، 3/ 32 – 33

3 إسماعيل عبد الكافي، **التعليم والهوية في العالم المعاصر**، ص 7

4 إسماعيل عبد الكافي، **التعليم والهوية...**، ص 7

5 **م. ن.**، ص 28

6 محمد عمارة "من نحن"، **الهوية والتراث**، ص. 41 – 42

7 إسماعيل عبد الكافي، **م. س.**، ص. 16

8 **م. ن.**، ص. 16

9 انظر عبد الكافي، **التعليم والهوية...**، ص. 17– 18

10 عبد الرزاق البصير، **نظرات في الأدب والنقد**، ص. 31

11 إسماعيل عبد الكافي، **م. س.**، ص. 18

12 إسماعيل عبد الكافي، **م. س.**، ص. 14

13 راجع قاسم السارة، "تعريب المصطلح العلمي"، **عالم الفكر**، مج 19، العدد 4، ص. 82

14 انظر عبد الكافي، **م. س.**، ص. 14 .

15 انظر تركي رابح، **دراسات في التربية الإسلامية**، ص. 102.

16 نقولا زيادة، **العروبة في ميزان القومية**، ص. 93

17 انظر تركي رابح، **م. س.**، ص. 103

18 عفّت الشرقاوي "المصادر الفكرية لمفهوم الهوية لدى رواد الفكر القومي العربي"، **الهوية القومية في الأدب العربي المعاصر**، ص. 23

19 تركي رابح، **دراسات في التربية الوطنية**، ص. 112.

20 مصطفى الرافعي، **وحي القلم**، 3/ 32 – 33

21 تركي رابح، **م. س.**، ص. 106.

22 من التعليمات التي صدرت في أوائل أيام الاحتلال الفرنسي للجزائر عقب الشروع في تنظيم إدارتها: "إنّ إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة "مملكة إفرنسية" إلاّ عندما تصبح لغتنا هناك لغة قومية. والعمل الجبار الذي يترتب علينا إنجازه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي – بالتدريج– إلى أن تقوم مقام اللغة العربية الدارجة بينهم الآن". انظر ساطع الحصري، **ما هي القومية؟**، ص. 73.

23 رابح، **دراسات في التربية الإسلامية**، ص. 106 – 107.

24 **م. ن.**، ص. 108.

25 عقد المشتغلون بالتربية اجتماعًا حضره آنذاك الرئيس هواري بومدين الذي حسم الحوار الذي دار بين المؤتمرين حول الوقت المناسب لتعريب التعليم، ورأى أنّ التعليم يجب أن يبدأ فورًا، إلاّ إنه تساءل عن كيفية بدء التعريب، خاصة وأنّ اللغة الفرنسية قد تمكّنت بصورة قوية في النفوس، إلى حدّ جعل الكثير من الشعب لا يستطيع أن يعبر عن نفسه باللغة العربية. انظر: عبد الرزاق البصير، **نظرات في الأدب والنقد**، ص40–41.

26 كارم السيد غنيم، "اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة في عالمنا الإسلامي"، **عالم الفكر**، مج 19، ع 4، ص. 41

27 يرى عبد السلام المسدي أنّ اللغة لو أنصفها التاريخ وأهلها، لكان من المفروض أن تكون هي أداة التداول في كلّ ما يتصل بمجالات الفكر والثقافة والمعارف، وبكل حقول التسيير والتوجيه، وبكل دوائر الإبداع والفنون. انظر عبد السلام المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص. 23

28 قاسم السارة، "تعريب المصطلح العلمي: إشكالية المنهج"، **م. ن.**، مج 19، ع 4، ص. 82.

29 قاسم السارة، **م. ن.** ص. 82

30 إبراهيم السامرائي، "نظرات في تدريس العربية في جامعات الوطن العربي"، **مجلة المعرفة**، ع 270، ص. 90 وما بعدها.

31 قاسم السارة، " تعريب المصطلح العلمي: إشكالية المنهج"، **م. س.**، مج 19، ع 4، 82 – 83

32 عبد الرزاق البصير، **نظرات في الأدب والنقد**، ص 14؛ انظر أيضا: عبد السلام المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص. 30 – 33

33 أنور الجندي، **الفصحى لغة القرآن**، ص. 126 وما بعدها.

34 أحمد مختار عمر، **العربية الصحيحة: دليل الباحث إلى الصواب اللغوي**، ص. 14

35 أنور الجندي، **م. س.**، ص. 136 وما بعدها.

36 كارم السيد غنيم، "اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة في عالمنا الإسلامي"، **عالم الفكر**، مج 19، ع 4، ص. 41؛ راجع في هذا المجال أيضًا: أنيس فريحة، **اللهجات وأسلوب دراستها**، بيروت، دار الجيل، ط1، 1409 هـ– 1989م

37 ذلك لأنّ اللسان العربي حامل تراث، وناقل معرفة، وشاهد حيُ على الجذور التي استلهم منها الغرب نهضته الحديثة في كلّ العلوم النظرية، والطبية، والفلسفية، لذلك فهم يخافونه أكثر مما يخيفهم اللسان الصيني أو الهندي. انظر عبد السلام المسدي، **م. س.**، ص. 25

38 قاسم السارة، "تعريب المصطلح العلمي"، **عالم الفكر** مج 19، ع 4، ص. 82

39 عبد الرزاق البصير، **نظرات في الأدب والنقد**، ص. 41

40 نقلاً عن كارم السيد غنيم، "اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة..."، **عالم الفكر**، مج 19، ع 4، ص. 44

41 محمد عابد الجابري، " العولمة والهوية الثقافية: عشر أطروحات"، **مجلة المستقبل العربي**، ع 228، 1998/2، ص. 14– 15

42 محمد عابد الجابري "العولمة والهوية الثقافية"، **م. ن.** ع 228، 2/ 1998، ص. 16. وقد أطلق بعض الكتّاب والمفكرين على العولمة "النظام العالمي الجديد" وهذا المصطلح قد استخدمه الرئيس الأميركي جورج بوش (الأب) في خطاب وجهه للأمّة الأميركية بمناسبة إرساله القوات الأميركية إلى الخليج عام 1990.

43 الجابري، "العولمة والهوية الثقافية"، **م. ن.**، ص. 18.

44 الجابري، "العولمة والهوية الثقافية"، **م. ن.**، ص. 19.

45 انظر حسين معلوم "التسوية في زمن العولمة"، **العولمة والتحولات المجتمعية في الوطن العربي**، ص. 131 – 139

46 انظر المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص.56 – 58

47 **م. ن.** ص. 62 – 65

48 انظر جوزف لبس، "فلتركض روحها بسلام: دور وسائط التواصل الاجتماعي في رابوع اللغة"، **مجلة المشرق**، السنة 91، ج 2، تموز – كانون الأول 2017، حيث عرّف هذه الظاهرة بقوله: "هي كتابة هجين تخلط العربي بالإنكليزي

والسوقي، وتمزج الحروف بالأرقام والرموز، وتقلّص الكلمات وتختزل عدد الحروف، فتشوّه أناقة الأبجدية العربية، وتطمس قواعد الصرف والنحو والإملاء، وتضرب بعلامات الترقيم عرض الحائط".

[49] انظر أيضا محمد محمود الإمام "الظاهرة الاستعمارية الجديدة ومغزاها بالنسبة للوطن"/ **العولمة والتحوّلات المجتمعية في الوطن العربي**، ص. 97–100؛ حسين معلوم، "التسوية في زمن العولمة"، م. ن.، ص. 144؛ المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص. 205

[50] غنيم، "اللغة العربية والنهضة العلمية..."، **عالم الفكر**، ص. 60 – 62 ؛ المسدي، م. س.، ص. 56 – 67

[51] المسدي. م. س.، ص. 63

[52] المسدي، م. س. ص. 16

[53] المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص. 67 ؛ غنيم، "اللغة العربية والنهضة..."، **عالم الفكر**، مج 19، ع 4، ص. 62

[54] انظر عبد البصير، **نظرات في الأدب** والنقد، ص. 67

[55] عبد البصير، م. ن.، ص. 47

[56] انظر علي القاسمي، انقراض اللغة العربية خلال القرن الحالي: http://www.voltairnet.org/article145997.html تمّت زيارة الموقع في 2017/12/20 الساعة الحادية عشرة مساء؛ وفي هذه الدراسة إشارة جريئة وردّ على من يرى أنّ اللغة العربية مقدّسة، وأنّها لا تزول، بدليل قوله تعالى ﴿إنّا نحن أنزلنا الذكر وإنّا له لحافظون﴾، بأن هذه الآية تشير إلى حفظ الله للذكر أو القرآن الكريم، ولهذا فإنّ اللغة العربية ممكن أن تنقرض، كما حصل في إيران التي تغلّبت فيها اللغة الفارسية وانقرضت العربية، كذلك إسبانيا التي انقرضت فيها العربية، وبقي المسلمون يهتدون بالقرآن.

[57] انظر جوزف لبس، "فلتركض روحها بسلام"، ص. 428.

[58] الأوردية هي لغة هندية آرية من فرع اللغات هندية إيرانية، تنتمي إلى عائلة اللغات الهندية الأوروبية، وهي اللغة الرسمية في باكستان. انظر: wiki<https//ar.m.wikipidia.org

[59] جوزف لبس "فلتركض روحها بسلام"، **مجلة المشرق**، ص.433 نقلًا عن: www.internalstats.com/stats7.htm انظر أيضا المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص. 26.

[60] المسدي، م. ن.، ص. 110 – 111

[61] م. ن.، ص. 112 – 117

[62] م.ن.، ص. 112

[63] م. ن. ص. 114 – 116

[64] م. ن. ص. 116

[65] المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص. 118 – 126

[66] م. ن.، ص.146

[67] انظر تركي رابح، **دراسات في التربية الإسلامية**، ص. 100 – 101

[68] رابح، **دراسات في التربية الإسلامية**، ص. 109

[69] محمد محمود الإمام، "الظاهرة الاستعمارية الجديدة ومغزاها للوطن العربي"، **العولمة والتحوّلات المجتمعية في الوطن العربي**، ص. 101

[70] التربية المقارنة هي فرع من فروع علم التربية يقارن بين الأنظمة التعليمية في البلاد المختلفة، ودراسة مشاكلها، وتحليل أسبابها، وتبيّن الفروق بين النظم التعليمية وعواملها، ودراسة الحلول التي وضعتها البلاد المختلفة Wiki<https://arz.m.wikipedia.org.

[71] انظر رابح، **دراسات في التربية الإسلامية**، ص. 109 – 110.

[72] عبد الرزاق البصير، **نظرات في اللغة والنقد**، ص. 40

[73] تركي رابح، م. س.، صز 96.

[74] رابح، **دراسات في التربية الإسلامية** ص. 96.

[75] رابح، م. ن.، ص. 96– 97

[76] **مجلة العلوم الاجتماعية**، مج 15، ع1، ربيع عام 1987، ص. 191.

[77] إسماعيل عبد الكافي، **التعليم والهوية**، ص. 53.

[78] تركي رابح، م.س.، ص. 99

[79] راجع الأساليب التعليمية التي تستخدمها مختلف مناطق العالم لتوكيد الهوية القوميّة في نفوس تلاميذها؛ إسماعيل عبد الكافي، **التعليم والهوية**، ص. 33– 36

[80] عبد الكافي، **التعليم والهوية**، ص. 65 – 66

[81] عبد الكافي، م. ن.، ص. 67 .

[82] عبد الكافي، م. ن.، ص. 65 – 69.

[83] عبد الكافي، م. ن.، ص. 59 – 60

[84] راجع في هذا الموضوع: رمضان عبد التواب، **فصول في فقه العربية**، ص. 413 – 424 .

[85] يرى رمضان عبد التواب أنّ العامية ظاهرة طبيعية في كلّ اللغات، وأنه ليس من اللازم أن يستخدم الناس جميعًا هذه اللغة الأدبية في أحاديثهم، بل إن هذا الأمر يكاد يكون مستحيلًا، ولم يحدث في أي عصر من العصور، ويرى أنه يستحيل على مجموعة بشرية تعيش في مساحة أرضية شاسعة أن تصطنع في حديثها اليومي لغة موحّدة، وهي ظاهرة لا يمكن تجنبها لكن يمكن العمل على تقريب المسافة بين العاميات والفصحى. انظر رمضان عبد التواب، م. س. ص. 415؛ ويشير علي القاسمي إلى أن الازدواجية بين الفصحى والعامية موجودة في كل لغات العالم، لكن لا خوف أن تحل العامية مكان الفصحى في الدول الغربية، لأن سياساتهم اللغوية قد تنبهت لهذا الأمر، بينما انعدام السياسات اللغوية في العالم العربي ممكن أن تؤدي إلى إحلال العامية بدل الفصحى. انظر علي القاسمي، **انقراض اللغة العربية خلال القرن الحالي**، http://www.voltairnet.org/article145997.html

[86] نصر الدين عثمان، ومريم صالح، "إشكاليات اللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعي"، **المؤتمر الدولي الثاني للغة العربية**، شباط 2013، ص. 8، 30، 36

[87] عبد السلام المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص. 162

[88] كارم السيد غنيم، "اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة"، **عالم الفكر**، مج 19، ع 4، ص. 44

[89] انظر حول الحلول المطلوبة للرقي باللغة العربية: علي سامي الحلاق، **المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية وعلومها**، ص. 211– 212؛ جاسم الحسون وحسن جعفر الخليفة، **طرق تعليم اللغة العربية في التعليم العام**، ص. 243. ؛ أحمد مختار عمر، **العربية الصحيحة: دليل الباحث إلى الصواب اللغوي**، ص. 25 – 32؛ انظر أيضًا هنري عويس، "ندوة تعلّم اللغة العربية: الإشكاليات وآفاق الحلول"، اليونسكو، بيروت، 21 شباط، 2004

[90] حيث لا توجد سياسات لغوية معلنة في الأقطار العربية، ما عدا ما ورد في دساتيرها من أنّ العربية هي اللغة الرسمية للبلاد، ولكن ليس ثمة قوانين أو أنظمة لتفعيل ذلك.

[91] البصير، **نظرات في الأدب والنقد**، ص. 14 – 15

[92] م. ن.، ص. 30

[93] م. ن.، ص. 40

[94] انظر غنيم، "اللغة العربية والنهضة العلمية المنشودة في عالمنا الإسلامي"، **عالم الفكر**، مج 10، ع4، ص. 42

[95] عبد الرزاق البصير، **نظرات في الأدب والنقد**، ص. 25

[96] عبد السلام المسدي، **العرب والانتحار اللغوي**، ص. 37

[97] م. ن. ص.، 85.

...

- لائحة المصادر والمراجع:

- البصير، عبد الرزاق، **نظرات في الأدب والنقد**، الكويت، مجلة العربي، (سلسلة كتاب العربي؛ 28)، 1990.
- الجندي، أنور، الفصحة لغة القرآن، بيروت – القاهرة، دار الكتاب اللبناني – دار الكتاب المصري، د. ت. ؛ (الموسوعة الإسلامية العربية؛ 10).
- الحسون، جاسم، والخليفة، حسن جعفر، **طرق تعليم اللغة العربية في التعليم العام**، ليبيا، منشورات جامعة عمر المختار، 1996.
- الحصري، ساطع، **ما هي القوميّة: أبحاث ودراسات على ضوء الأحداث والنظريات**، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة الأولى، 1959.
- الحلاق، علي سامي، **المرجع في تدريس مهارات اللغة العربية وعلومها**، طرابلس – لبنان، المؤسسة الحديثة للكتاب، 2014
- درويش، أحمد، **اللغة والهوية**، القاهرة، جامعة القاهرة، كلية الآداب، 2009.
- رابح، تركي، **دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية**، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1402هـ – 1982م.
- الرافعي، مصطفى صادق، **وحي القلم**، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت. مج الثالث.
- زيادة، نقولا، **العروبة في ميزان القومية**، بيروت، دار العلم للملايين، 1950.
- عبد التواب، رمضان، **بحوث ومقالات في اللغة**، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، 1982.
- عبد التواب، رمضان، **فصول في فقه العربية**، القاهرة – الرياض، مكتبة الخانجي – دار الرفاعي، الطبعة الثانية، 1404هـ – 1983م.
- عبد الكافي، إسماعيل عبد الفتاح، **التعليم والهوية في العالم المعاصر (مع التطبيق على مصر)**، أبو ظبي، مركز الإمارات للدراسات ولبحوث الاستراتيجية، الطبعة الأولى، 2001، (سلسلة دراسات استراتيجية؛ العدد 66)
- عمر، أحمد مختار، **العربية الصحيحة: دليل الباحث إلى الصواب اللغوي**، القاهرة، عالم الكتب، الطبعة الأولى، 1401هـ – 1981م.
- **العولمة والتحدّيات المجتمعية في الوطن العربي**/ إعداد حيدر إبراهيم، حسين معلوم، سمير أمين ... وآخرون، تحرير عبد الباسط عبد المعطي، بيروت، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الأولى، 2005
- فانوس، وجيه، **إشارات من التثاقف العربي مع التغريب في القرن العشرين**، بيروت، فانو برس، 2004.
- فريحة، أنيس، **اللهجات وأسلوب دراستها**، بيروت، دار الجيل، الطبعة الأولى، 1409هـ – 1989م.
- المسدي، عبد السلام، **العرب والانتحار اللغوي**، بيروت، دار الكتاب الجديد المتّحدة، الطبعة الأولى، 2011.
- ندوة "تعلُّم اللغة العربية: الإشكاليات وآفاق الحلول"، بيروت، اليونسكو، 21 شباط 2004.
- الندوة رقم 51: "اللغة العربية في مواقع التواصل الاجتماعي"، دبي، المؤتمر الدولي الثاني للّغة العربية، 7 – 10 أيّار 2013.
- **الهُوية القومية في الأدب العربي المعاصر**/ إبراهيم فتحي، عبد العزيز حمودة، محمد العبد... وآخرون، إشراف عزّ الدين إسماعيل، القاهرة، معهد البحوث والدراسات العربية، 1999 .
- **الهوية والتراث**، تحرير أحمد خليفة، بيروت، دار الكلمة، 1984.

- المجلات والدوريات:

- **عالم الفكر**، مج. التاسع عشر، العدد الرابع، يناير – فبراير – مارس، 1989.
- **مجلة العلوم الاجتماعية**، مج الخامس عشر، العدد الأول، ربيع عام 1987.
- **مجلة المستقبل العربي**، السّنة العشرون، العدد 228، شباط / فبراير 1998.
- **مجلة المشرق**، السنة 91، الجزء الثاني، تموز – كانون الأول 2017
- **مجلّة المعرفة**، دمشق، السنة الثالثة والعشرون، العدد 270، آب 1984.

- المواقع الالكترونية:

wiki<https//ar.m.wikipidia.org

Wiki<https://arz.m.wikipedia.org.

www.internalstats.com/stats7.htm

http://www.voltairnet.org/article145997.htm

* * *